

## الشباب والأنشطة الاقتصادية الحضرية غير الرسمية في المدينة - دراسة ميدانية (بحي لامارين) بمدينة سعيدة-

سليمان بوزيدي<sup>1</sup>

### مقدمة:

لقد أضحى من المسلم به، أن رأس المال البشري هو أساس كل تنمية، لذا تشهد مختلف دول العالم تحولا ملحوظا نحو الاهتمام بالتنمية البشرية، وإذا اعتبرنا أن شباب اليوم هم رجال الغد فإن الاهتمام بهذه الشريحة والتكفل بها أصبح مطلباً أساسياً لمشاركة فاعلة لهذه الطاقات المنتجة، لا سيما عندما يكون للشباب وزن في التركيبة السكانية. (2)

لقد شهد العالم الثالث، منذ منتصف القرن العشرين تحولات وتغيرات سريعة، راجع ذلك إلى النمو السكاني المتسارع الناجم عن الهجرة الريفية من ناحية، كما تكشف تلك البيانات الإحصائية أيضاً أن نصف 1/2 تلك الزيادة السكانية الحضرية مصدره الهجرة الريفية بما يرجع النصف 1/2 الآخر إلى ارتفاع نسبة الزيادة الطبيعية للسكان الحضريين. (3)

فقد تفتن علماء الاجتماع والاقتصاد، منذ السبعينيات من القرن العشرين، لأهمية الأنشطة التي يبتدعها الفقراء، سواء استعاب القادمين الجدد إلى سوق العمل، أو المساهمة في عملية التنمية الحضرية... . واقتراح البدائل الممكنة للتخفيف من حدتها، وطرحنا بذلك تساؤلات عديدة تتعلق بعضها: بتزايد عدد الفقراء وتدهور أوضاعهم، انتشار

1 أستاذ موقت مكلف بالدروس بكلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة د. الطاهر مولاي سعيدة.

(2) عنصر يوسف، مشكلات الشباب الجزائري، الواقع والتطلعات المستقبلية، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد 10، جامعة منتوري قسنطينة، سبتمبر 2010، ص 211-228.

(3) السيد الحسيني وآخرون، القطاع غير الرسمي في حضر مصر، التقرير الأول، المداخل النظرية والمنهجية والتحليلية، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، 1996، ص 02.

البطالة والهجرة الريفية الحضرية ونقل الفقر الريفي إلى المناطق الحضرية وتكوين جماعات جديدة من الفقراء. (1)

لذلك سوف نركز في دراستنا هته بصفة رئيسية حول شريحة مهمة في المجتمع ألا وهي فئة الشباب، من خلال مزاولتها لأنشطة اقتصادية غير رسمية في المدينة، بما فيهم الباعة الثابتين والجائلين لمدينة سعيدة.

يندرج هذا البحث ضمن علم الاجتماع الحضري باعتباره أحد العلوم المعنية بدراسة هذه الظواهر في الوسط الحضري المدني، فالسؤال الذي نود طرحه في هذا المجال كسؤال إنطلاق بحثنا هذا هو: ماهي الأسباب الرئيسية التي دفعت فئة كبيرة من الشباب الجزائري لممارسة مختلف الأنشطة غير الرسمية في المدينة على الرغم من علمها أنها غير قانونية؟.

وتتطلب هذه المقولة من أن هذه الأنشطة غير الرسمية تلعب دورا هاما في المجتمع الحضري، سواء فيما تعلق الأمر بإسهاماتها في القضاء على البطالة أو باعتبارها وعاءا ضخما للعمالة الحضرية خاصة فئة الشباب.

### الإشكالية:

في هذا القياس أساس منطلق بحثنا كمدخل نظري نقر من خلاله معالجة ظاهرة ممارسة الأنشطة غير الرسمية من طرف الشباب مصاغة كالاتي: تلعب الأنشطة غير الرسمية دورا مهما في خلق فرص العمل، وتوليد الدخل لعدد متزايد من قوة العمل، وتكتسب أهمية خاصة بسبب تنوع الأنشطة الاقتصادية غير الرسمية في الوسط الحضري، بمعنى أن هذه الأنشطة غير الرسمية تنمو وتتسع يوما بعد يوم بسبب توافد اليد العاملة على مزاولتها كمثل هذه الأنشطة غير الرسمية لما تدره من أرباح دون قيود وضرائب، كما تسهم هذه الأنشطة غير الرسمية في إنتاج سلع وخدمات رخيصة نسبيا لمحدودي الدخل. مما يخفف من الآثار السلبية المترتبة على انخفاض الدخل الحقيقية أو عدم زيادتها بالقدر المناسب لمواجهة ارتفاع أسعار السلع والخدمات المنتجة والمعروضة في الوسط الحضري.

(1) إسماعيل قيرة، الفقراء بين التنظير والسياسة والصراع، المستقبل العربي، العدد 241، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، مارس 1999، ص 44-63.

إذ تعتبر هذه الأنشطة غير الرسمية من مجمل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الموجودة في المدينة كظاهرة اجتماعية موضوع الدراسة. وتوجد شواهد ميدانية عديدة في المجتمع الجزائري تؤكد أن أغلب أصحاب الأعمال الذين يزاولون الأنشطة غير الرسمية بدؤوها في سن مبكرة وأن تعليمهم المهني تم من خلال ذات القطاع (قطاع غير رسمي) وشوهد من خلال حياتهم أن يبدأ العامل بعمل لدى الغير لعدة سنوات ثم ينتقل بعد ذلك بعمل خاص به، وذلك بعد اكتساب حد أدنى من الخبرة وتجميع مبلغ من المال.

وفي هذه الدراسة سنركز على فئة الشباب من خلال مزاولتها لهذه الأنشطة غير الرسمية في الوسط الحضري، ونقصد بالأنشطة غير الرسمية هي التي تدر دخلا ماديا وتعد أنشطة اعتيادية يقبلها المجتمع بشكل عام لكن تنقصها بعض الإجراءات القانونية وذلك بحي لامارين بمدينة سعيدة (الجزائر)، إذ تسعى هذه الدراسة بالدرجة الأولى تبيان الأوضاع الحقيقية لممارسة الأنشطة الاقتصادية الحضرية غير الرسمية في المدينة من طرف الشباب بالإضافة إلى الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للعاملين بهذه الأنشطة غير الرسمية المرتبطة بالشارع والرصيف والتجوال.

فارتأينا أن نقوم بهذه الدراسة لفهم ديناميات الأنشطة غير الرسمية الممارسة من طرف الشباب فكانت إشكاليتنا على النحو التالي:

\* كيف يمكننا تفسير الواقع الحقيقي للشباب الجزائري من خلال تملكه للفضاء العام لمزاولة مختلف الأنشطة الاقتصادية غير الرسمية وتأثير هذه الأخيرة على البنية الحضرية للمدينة؟ وما هي الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للعاملين في هذه الأنشطة غير الرسمية المرتبطة بالشارع والرصيف والتجوال؟.

### الفرضيات:

إن البحث العلمي يعد مرحلة صياغة الفروض واختبار صحتها أو خطئها وتعد من أهم المراحل المنهجية في الدراسات الاجتماعية فمهما كان فإن الفرضية العلمية ليست قانونا علميا وإنما مسودة أو مشروع قانون علمي<sup>(1)</sup>. فهي أفكار مبدئية تدرس العلاقة بين الظواهر قيد

(1) عياد أحمد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، تلمسان، جامعة أبو بكر بلقايد، مارس 2005، ص 57.

الدراسة والبحث والعوامل الموضوعية المؤثرة فيه<sup>(1)</sup>. فمن خلال التوجه إلى صميم موضوعنا (توجيه ملاحظتنا و عملنا الميداني) لابد من صياغة الفرضيات التي تتلاءم مع موضوع بحثنا كنقطة في دراستنا هذه، فحددناها في ثلاث فرضيات مصاغة كالآتي:

1\* - يؤدي انخراط الشباب في مزاوله الأنشطة الاقتصادية غير الرسمية إلى المشاركة الفعلية في الحياة الحضرية بأبعادها المختلفة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

2\* - إن استغلال الوسط الحضري في مزاوله أنشطة غير رسمية تخلق مشاكل وعوائق تؤثر على الميزة الاجتماعية أو البنية الحضرية للمدينة.

3\* - تبقى مزاوله الأنشطة غير الرسمية من طرف الشباب مخرج حيوي والسبيل الوحيد لضمان البقاء والعيش من خلال دور هذه الأنشطة في خلق فرص العمل والخروج من شبح البطالة.

### منهجية الدراسة:

إن دراسة أي موضوع تتطلب أدوات ومنهجية بحث تتمثل في مجموعة القواعد والخطوات والإجراءات التي يعتمد عليها العمل للتوصل إلى الحقائق العلمية، كما تتصف هذه المنهجية بالمنهج المتبعة وأدوات البحث المستعملة، وبصياغتنا للإشكالية وبناء الفرضية، بدأت تتجلى معالم هذه الأخيرة، وبعد مقابلتنا للمبجوثين وجمع المعلومات، كان لابد من استعمال مناهج تساعدنا في البحث، فيتحدد هذا الأخير على طبيعة الموضوع وأهدافه التي يحاول الباحث تحقيقها من خلال الدراسة قصد الوصول إلى هدفنا المحدد في هذا البحث الميداني المتمثل في الكشف عن الأنشطة الاقتصادية غير الرسمية المزاوله من طرف فئة الشباب فحاولنا إتباع الخطوات التالية: المنهج:

يعبر المنهج عن فن التنظيم الصحيح سلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن حقيقة مجهولة لدينا أو من أجل البرهنة على حقيقة لا يعرفها الآخرون، فهو عبارة عن مجموعة العمليات التي يتبعها الباحث بغية تحقيق بحثه، فهو يساعد الباحث على ضبط مساعي

(1) محمد الحسن إحصان، الأسس العلمية لمناهج البحث العلمي، بيروت، درا الطليعة للنشر والتوزيع ط2، 1986، ص 45.

وأسئلة فروض البحث<sup>(1)</sup>. ويعرفه "كابلان" على أنه: الوسيلة التي عن طريق استخدامها تزداد فاعليتها، وزيادة معرفتنا وفهمنا للحقائق.<sup>(2)</sup>

فبحثنا هذا يعتمد على منهج وصفي تحليلي حيث يقوم بإبراز وصف وتحليل ظاهرة مزاولة الأنشطة غير الرسمية في الوسط الحضري لمدينة سعيدة بصورة معمقة، فهذا المنهج يستخدم في البحوث والدراسات الاجتماعية والسلوكية والوصفية والتحليلية، ويعتمد على تحليل وتفسير الظاهرة المدروسة من خلال تحديد خصائصها بهدف الوصول إلى وصف علمي متكامل لها. ويجدر الإشارة هنا إلى اختيارنا لحي "لامارين" La Marine وبعض الأحياء الأخرى القريبة منه لم يكن مجرد مصادفة (صدفة) أو اختيار عشوائي وإنما كان لذلك الاختيار أسبابه الوجيهة فنرددنا على الحي لأكثر من مرة وموقع هذا الحي داخل محطة الحافلات وملاحظاتنا للباعة الذين يترددون كل يوم على الحي، ورواج السلع المختلفة الموجودة داخله من جهة ومن جهة أخرى وضعية الباعة الاجتماعية والذين يمثلون في الغالب فئة الشباب الأمر الذي دفعنا إلى تسليط الضوء على الواقع الحقيقي لهذه الشريحة من خلال مزاولتها لمختلف الأنشطة غير الرسمية في هذا الحي. الأدوات المستعملة:

يحتاج البحث العلمي في أية ميدان اجتماعي إلى تقنيات وسائل منهجية معينة لما كانت طبيعة الفرضية تتحكم في اختيار الأدوات التي سوف يستعملها الباحث في حل المشكلة والتحقق من الفرضية<sup>(3)</sup>.

#### الملاحظة:

هي ممارسة اجتماعية قبل أن تكون منهج علمي، كما أنها تعتبر وسيلة للوصول للممارسات الاجتماعية، إذ استخدمنا في دراستنا الميدانية الملاحظة المباشرة، وتكون هذه الأخيرة عن طريق المراقبة المباشرة للعاملين أثناء تأدية عملهم أو وظائفهم في الحي محل الدراسة ومختلف الباعة العارضين لسلعهم من شباب (الملاحظة في عين المكان) والتي هي تقنية مباشرة للتقصي تستعمل عادة في مشاهدة

(1) زرواتي رشيد، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية الجزائر، دار هومة للنشر ط1، 2002، ص 112.

(2) بدوي عبدالرحمان، مناهج البحث العلمي، القاهرة، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، د.ت، ص15.

(3) عسوي عبد الرحمن، علم النفس والإنسان، دار الجامعية للطباعة والنشر، 1993، ص 353.

مجموعة ما.<sup>(1)</sup> وللملاحظة المباشرة الدور الفعال باعتبارها تساعد على عملية الوصف فهي أيضا وسيلة من وسائل جمع البيانات التي تقوم بمراقبة ومعاينة الظاهرة المراد دراستها.

### المقابلة:

هي المحادثة التي تتم بين القائم بالمقابلة والمبحوث، بغرض جمع البيانات التي يحتاج إليها البحث<sup>(2)</sup>، وهي حوار لفظي أو حديث لفظي بين الباحث والمبحوث، وهذا الحوار يكون منظما، يكون في أغلب الأحيان مزودا بإجراءات ودليل عمل مبدئي لإجراء المقابلة<sup>(3)</sup> فمن خلال الدراسة أو المرحلة الاستطلاعية والتي تضمنت إجراء ومقابلات حرة Entretiens libres مع مختلف المبحوثين في مكان الدراسة بالإضافة إلى القراءات التي تناولت الموضوع من زاوية أو من أخرى، تم تحديد أسئلة المقابلة والمحاور الأساسية لها كتقنية يعتمد عليها في جمع البيانات من أفراد العينة والتي تسهل على الباحث جمع المعطيات المطلوبة.

كما استعملنا المقابلة نصف الموجهة الفردية، وهي التي تتم بين القائم وبين شخص واحد من المبحوثين وجها لوجه وتسجيل الإجابات بعد إجراءها بوقت قصير لتجنب النسيان وإهمال التفاصيل، وأيضا الملاحظة المباشرة حسب التي تخدم الموضوع في نفس الوقت والمكان العينة:

لقد كان اختيارنا لعينة متنوعة، تتوع وتعدد الأنشطة المزاولة في الفضاء محل الدراسة، وتعارض وتباين مواقف الأشخاص من جهة أخرى والغرض من هذا هو الإطلاع على البيانات العامة كالسن، المهنة، المستوى التعليمي، الحالة العائلية والوضعية الاجتماعية، حيث تمكننا من مقابلة واستجواب 25 شاب و 05 نساء من الذين يمارسون أنشطة غير رسمية من أماكن مختلفة ومتباينة من أحياء المدينة. إذ تمت معظم مقابلاتنا في ظروف حسنة رغم الصعوبات التي تلقيناها وتم تجاوزها، إذ حاولنا قدر المستطاع الإجماع مع التنوع في اختيار

(1) أنجريس موريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية؛ ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، الجزائر، دار القصبة للنشر ط2، 2004، ص184.

(2) بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، ص356.

(3) بوحوش عمار، محمد محمود الذنبيات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص129.

سلع الباعة المعروضة في الحي فمنهم من قابلناه، وهو يبيع ومنهم من قابلناه وهو عارض سلعة ينتظر مساومته ومنهم من تبادلنا الحوار معهم في مقهى لكن أغلبية المبحوثين استجوبناهم في المكان التي تزاوّل فيه هذه الأنشطة غير الرسمية، أما فيما يخص الوقت المخصص للمقابلة فكان حسب قابلية المبحوث في التحوار معنا فكانت معظم المقابلات ما بين ساعة إلى ساعة ونصف.

ولقد حاولنا استعمال المسجل الصوتي، لكن الظروف التي تم فيها هذا البحث باستعمال تقنية التسجيل يعتبر عائقا في التعامل مع المبحوثين خوفا منهم على كسب قوتهم وخاصة الأونة الأخيرة التي عرفتها مدينة سعيدة من مضايقات كثيرة من طرف أعوان شرطة البيئة والعمران وخاصة في حي لامارين La Marine، لما تشهده من توسع هذه الأنشطة غير الرسمية، لذا تخلينا عن هذه التقنية مع العلم من وفرة المزايا التي تتوفر عليها بالإضافة إلى القدرة على نقل خطاب المبحوثين في أدق تفاصيله، كما قمنا بالنقاط صور الباعة غير الرسميين وهم يمارسون هذه الأنشطة في الحي.

وانتهت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها:

أن أغلب المزاوّلين للأنشطة الاقتصادية غير الرسمية من أفراد العينة، من الذكور، كما أن النسبة الأكبر منهم من غير المتزوجين يتوزعون بين فئات السن المختلفة - مع التركيز على سن الشباب - الفئة الأكثر مزاوّل لمثل هذه الأنشطة غير الرسمية في حي لامارين la marine بسعيدة، كما ينتمي معظم المبحوثين أو أفراد العينة إلى أسر متوسطة أو كبيرة الحجم، وأن النسبة الأكبر من المبحوثين ينتمون إلى أصول غير حضرية (ريفية) -ضواحي المدينة- وكذلك ارتفاع نسبة التوارث المهني في مجتمع الدراسة حيث أن 2/3 صرحوا أنهم وجدوا إما آباءهم أو إخوانهم يزاوّلون مثل هذه الأنشطة غير الرسمية أو أنشطة البيع في الرصيف أو الشارع، كما تتدرج دخول نسبة كثيرة من آباء المبحوثين ضمن شريحة الدخل الضعيف (القليل)، وبالرغم من أن نسبة كبيرة من آباء المبحوثين على حسب تصريحاتهم - المبحوثين - غير حاصلين على شهادات دراسية، إلا أن الدراسة كشفت عن ارتفاع نسبة المتعلمين بين أفراد العينة، كما أنه يوجد نسبة أخرى متوسطة، أما فيما يخص طبيعة هذه الأنشطة غير الرسمية تبين استقرار هذه العمالة من الشباب في مزاوّل كمثل هذه الأنشطة غير

الرسمية لما تدره عليهم من فائدة وربح سريع، وأن ممارستهم لا تعد محطة انتقالية للبحث عن العمل في القطاعات الرسمية بل تم الاستقرار في مزاوله هذه الأنشطة غير الرسمية للحصول على لقمة العيش هذا بالنسبة للفئة التي ليس لديها مستوى تعليمي أما العاملين من الطلبة يعتبرونها مرحلة انتقالية ريثما تتاح لهم فرصة العمل القطاع الرسمي، كما بينت الدراسة وجود علاقة عضوية بين الفقر والأنشطة غير الرسمية وربط القطاع غير الرسمي بالفقر له مبرراته عند العديد من الباحثين على اعتبار أنه يستوعب عمالة فقيرة وغير ماهرة أو شبه ماهرة، كما أن نسبة كثيرة من المبحوثين من الشباب صرحوا بأنه توجد صعوبة كبيرة في الحصول على عمل آخر في القطاع الرسمي على العكس من القطاع غير الرسمي، بسبب ما هو متقشي في المجتمع الجزائري -الرشوة، المعرفة- إذ تنفق هذه النتيجة مع ما ورد في بعض الكتابات والدراسات والتي صرحت بسهولة الدخول بالقطاع غير الرسمي، كما بينت الدراسة أن النسبة الأكثر وإن لم نقل الكل ليس لديهم أية وثيقة تثبت مزاولتهم لهذه الأنشطة غير الرسمية وعدم وجود أي ترخيص من السلطات المعنية لممارسة هذا النشاط، لذا تؤدي مشاركة الشباب في ممارسة الأنشطة الاقتصادية غير الرسمية إلى المشاركة في الحياة الحضرية بجميع أبعادها من جهة ومن جهة أخرى تتسبب في مشاكل تؤثر بطبيعة الحال على البنية الحضرية للمدينة.

### خاتمة:

كان الهدف من هذه الدراسة تحليل ومناقشة ظاهرة ممارسة الأنشطة غير الرسمية من طرف الشباب في الوسط الحضري، وذلك للوصول إلى الواقع الحقيقي لهذه الفئة في حي من أحياء مدينة سعيدة يدعى "حي لامارين" وللوصول إلى هذا الغرض تمت دراسة العوامل والأسباب الدافعة بالفرد إلى مزاوله هذه الأنشطة والخصائص الاجتماعية والاقتصادية للعاملين فيها بالإضافة إلى تأثير مزاوله هذه الأنشطة غير الرسمية على البناء الحضري للمدينة. ومن بين النتائج المتوصل إليها أنه يوجد علاقة عضوية بين الفقر والأنشطة غير الرسمية وربط القطاع غير الرسمي بالفقر له مبرراته عند العديد من الباحثين على اعتبار أنه يستوعب عمالة فقيرة وغير ماهرة أو شبه ماهرة ومهاجرة من الريف، وتزاول أنشطة تقوم على رأس مال ضئيل... وربما كانت هناك بعض الشواهد والنتائج المتسقة مع وصف

البعض للقطاع غير الرسمي بأنه قطاع الفقراء، والذي يقدم فرصا للفقراء والمهمشين والعاطلين والباحثين عن فرصة عمل لكسب قوتهم والحصول على دخول معقولة، كما أنه يساهم في تقليص الفقر من خلال توفير فرص العمل، وتوليد الدخل وتوفير سبل اكتساب دخول معقولة لمن انظمو إليه بمحض اختيارهم، أو عن طريق التوارث المهني.

وفي الأخير تبقى مزاولة أو ممارسة الأنشطة غير الرسمية من طرف الشباب بالرغم من المشاكل والعوائق التي تؤثر عليهم وعلى البنية الحضرية للمدينة السبيل الوحيد لضمان بقاءهم وعيشهم من خلال دور هذه الأخيرة في خلق مناصب شغل وفرص عمل وحتى ولو كانت غير دائمة لسبب واحد هو الخروج من شبك البطالة.